جامعة بجاية

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة العربية وآدابها

السنة الثانية/أدب ولغة الاستاذ: خيار نورالدين

مقياس: المدارس اللسانية

المحاضرة الأولى: حلقة براغ اللسانية. Cercle Linguistique De Prague

1. *التأسيس:*

أُسِّست حلقة براغ اللّغويّة في عام 1926 على يد جماعة من اللّغويين التشيكيين...وكتب لهذه الحلقة العلميّة الشهرة والذيوع بدخول ثلاثة لغويين فيها مِن أصل روسي، وذلك عام 1928 وهم الأمير الروسي **نيكولاي تروبيتزكوي** (Nicolas Trubetzkoy) و**رومان جاكبسون** (R. Jakobson) و**كرسيفسكي** (Kruszewski). ويذكر الباحث **أحمد مومن** مِن أولئك المؤسِّسين الأوائل العالم التشيكي **فيلام ماثيسيوس** (1882 . 1945) Vilem Mathessieus هو وبعض معاونيه، ويورِد سنة 1926 كتاريخ التأسيس ويسمّيه **بنادي براغ اللّساني**. وأصبح هذا النادي يُعرَف فيما بعد بمدرسة براغ أو المدرسة الوظيفيّة، أو المدرسة الفونيمية. وقد بلغت هذه المدرسة ذروتها في الثلاثينيات وما زال نفوذها مستمرًّا إلى يومنا هذا. وعلى خلاف المدارِس الأخرى، فإنّها تضمّ عدداً كبيراً من الباحِثين المتخصِّصين في اللّغات السلافية مِن تشيكوسلوفاكية آنذاك وخارجها.

وتعود شهرة هذه الحلقة إلى يوم قدّم هؤلاء العلماء الثلاثة بياناً هاما إلى العلماء الذين شاركوا في أوّل مؤتمرٍ دولي للغويين (في لاهاي سنة 1928). وكان قد حرّر **جاكبسون** مجموعة من المبادئ لدراسة أصوات اللّغة ووقّع عليها رفيقاه.

2. الوظيفيّة والبنيويّة:

وممّا لا شكّ فيه أنّ مؤلَّف **دي سوسير** "*محاضرات في اللّسانيات العامة*" كان له أثرٌ كبيرٌ على بزوغ هذا النادي اللّساني، الذي شرع فيما بعد يعقد ندواتٍ منتظمة، ويتوّجها ببحوثٍ في اللّسانيات الوظيفيّة على وجه الخصوص. هذا، مع العلم أنّ أنصار الوظيفيّة كادوا أن ينفصلوا نوعاً ما عن فِكرة **البنية اللّغويّة** . على أنّها بقيت تحتلّ مكانة المركز في أعمالهم . وذلك سعياً منهم إلى تحرير العلاقة القائمة بين ما يُتلَفّظ به والسياق الذي تصدر فيه الأقوال، وإذ التفت أولئك اللّسانيون إلى هذا الجانب من الدراسة (تفسير تلك العلاقة) شدّدوا على استجلاء **وظيفة** كلِّ عنصر من العناصِر اللّغويّة، وأضافوا إلى فِكرة وصف اللّغة ضرورة الإحاطة بالكيفيّة التي يتمّ بها تبليغ الرسالة

(الخطاب): فاكتسبت هذه الإضافة قيمتَها في التطبيق الفونولوجي الذي انتشر فيه مفهوم " الملامح الصوتيّة المميّزة Traits distinctifs ". وهو مفهومٌ يسوّغ الوقوف في **الفونيم** على مخارج الأصوات والعناصر السمعيّة، وهما معياران يتمّ بناءً عليهما ترشيحُ تلك **الملامح الصوتيّة المميّزة**؛ وقد لقي الإجراء الأخير رواجاً في مدارس لسانية تعنى بالتحليل اللّساني.

وقد سميَت هذه المدرسة بالمدرسة الوظيفيّة لأنّ أصحابَها يرون بأنّ دراسة اللّغة تتمثّل في البحث عن الوظائف التي تقوم بها عناصِر الملفوظ في عمليّة التواصل انطِلاقاً من رؤية جديدة كان **سوسير** قد أرسى دعائمَها وهي إقرارُه بأنّ **وظيفة اللّغة الأساسيّة هي التبليغ والتّواصل**. ويمكن للتبليغ أن يتمَّ في قالب إثبات أو طلب بالأمر والاستفهام دون أن يخرج عن إطاره الخاصّ. لهذا ترى **الوظيفية** أنّ البنية النحوية والدلالية والفنولوجية للغات تُحدَّد بالوظائف المختلِفة التي تقوم بها في المجتمع.

وللّغة وظائف أخرى غير تبليغيّة تُعتبَر ثانويّة، فاللّغات تقوم فعلاً بدور دعامة الفكر إلى درجة أنّه يمكن التساؤل عمّا إذا كان النشاط الفكري الذي يفتقِد إطار اللّغة أهلاً لحمل اسم فكر؛ ومن جهةٍ أخرى فإنّ الإنسان يستعمل باستمرار لغته للتعبير. وقد فصّل جاكبسون في هذه الوظائف التي حدّدها بستّ وظائف لغوية.

3. الفنولوجيا (الصوتيات الوظيفيّة)

لقد سمّى أولئك العلماء الموقِّعين على بيان المؤتمرِ الدولي للّغويين (لاهاي سنة 1928)، العلمَ الجديد بالفنولوجيا تمييزاً له عن الفونتيك وهذه التسمية الأخيرة هي التسمية التي اشتهرت قبلَ ذلك للدّلالة على علم الأصوات اللّغويّة.

وهي مادّة علميّة فرعيّة تابِعة للّسانيات بمفهومها الحديث، تتناول موضوعاً محصوراً في الأنظِمة المجرَّدة لأصوات مختلَف اللّغات، وتترك للصوتيات ومباحِثها عملية الإحاطة بالأصوات النطقيّة، أي الوصف الفيزيائي لكيفيّة النطق بالأصوات؛ لتتولّى هي الوقوفَ عند *الملامح الصوتيّة المميّزة* التي ترجع إليها وظيفة تشخيصها عن قرب باعتماد معياريْ (مخارج الأصوات والعناصر السمعيّة): وهنا يتجلّى الطّابع البنيويّ لدراستها؛ وليس هذا فحسب، بل تستدعي طريقة التقطيع (Articulation) والاستبدال (Commutation)، وقبل أن يؤول المفهومان إلى منهجٍ يُتَّبع في التحليل كانا فكرتين من صميم البنيويّة، إذ تمتدّ جذورُهما في آنٍ واحِدٍ إلى المحور التركيبي (Axe syntagmatique) والمحور الاستبدالي (Axe paradigmatique) الذيْن رسَّخهما **دي سوسير** وعزّزهما بخاصية الدّال اللّغويّ المتمثِّلة في الخطية (Linéarité). وحسبُنا أن نُشيرَ إلى أنَّ المعنى الوَظيفيَّ قد اشتَمل لَدى **حلقة براغ** على ما سمّوه المعنى السّلبيّ، أو المعنى الاستبداليّ، أو مَعنى المقابلة الّذي يُنسَب إلى الأصوات عِند الاستِبدال في الموقِع (وهو **المُعاقبة** في مُصطلح النَّحو العَربيّ). وتمتدّ جذوره كذلك إلى " الاختلافات " التي

نجد **دي سوسير** في بعض السياقات من كلامه يحصر اللّغة فيها تعريفاً ومنها يستمدّ فكرة " اللّغة جوهر لا مادّة ".

4. موضوع الصوتيات الوظيفيّة:

ويدرس هذا العلمُ **الأصوات** من حيث وظيفتُها، أي أنّه يدرس **الفونيمات** وتوزيعاتها **وألوفوناتها**، ويسمَّى **علم الفونيمات** من هذه ناحية. وكذلك يُعنى بوصف الصوت اللغوي. ومِن أجل القيام بذلك لابدّ من أخذ عدة عوامل في الاعتبار مثل: **مكان النُّطق** (شفوي؛ أسناني؛ بين أسناني؛ لثويّ؛ لثويّ غاريّ؛ غاريّ، طبقيّ؛ لهويّ؛ حلقي؛ حنجري). و **الناطق** (الشَّفة السُّفلى؛ ذَلَق اللّسان؛ مُقدّم اللّسان، وسط اللّسان؛ مؤخر اللّسان؛ جذر اللّسان). و **كيفية النُّطق** (انفجاري؛ احتكاكيّ؛ جانبيّ؛ أنفي؛ تكراريّ؛ صائت؛ شبه صائت؛ مجهور؛ مهموس؛ رخو؛ ليّن؛ قصير؛ طويل). ويُضاف عند وصف الصّوائت إلى ما تقدّم، الصِّفات: بسيط؛ مُركَّب؛ عالٍ؛ وسطي؛ منخفض؛ أمامي؛ مركزي؛ خلفي.

5.الفونيم والألوفون (Phonème & Allophone):

مِن أكثر المصطلحات المستعملة في الصوتيات الوظيفيّة. وللفونيم عدة تعريفات من أهمها تعريفه بأنه مجموعة أصوات متماثلة صوتيًا في توزيع تكامليّ، أو تغيُّر حرّ، أمَّا الألوفون فهو تأدية صوتية لفونيم ما. ولا تؤدي تلك التأدية إلى تغيير للمعنى: كأن يُنطق القافُ كافاً في بعض اللهجات المحلية. يتماثل صوتيًا مع سواه من ألوفونات الفونيم ذاته ويتوزَّع معها تكامليًّا، أو يتغيّر معها تغيُّرًا حُرًّا. وتنقسم الفونيمات إلى **فونيمات مقطْعِيَّة** تشمل: الصوامت والصوائت، و**فونيمات فوق مقطَعِيَّة** وتشمل: النبرات والفواصل والنَّغمات. وتختلف اللغات في عدد فونيماتها، وليست جميع الفونيمات موجودة في جميع اللغات، كما أنّ الفونيم ذاته قد يُوجد في لغتين ولكن بمكان نطق مختلف مثل: صوت /ت/ الأسناني في العربية وصوت / t / اللثوي في الإنجليزية ومثل صوت /ر/ التكراريّ في العربية وصوت / r / الانعكاسيّ في الإنجليزية الأمريكية، وما هو فونيم في لغة ما، قد يكون ألوفونا في لغة أخرى، والعكس صحيح.

5. تصنيف الأصوات

اتفق اللغويون على تقسيم أصوات اللغة إلى قسمين رئيسيين هم: **الأصوات الصامتة**، أو **الصوامت**، و**الأصوات الصائتة**، أو **الصوائت**. ويعتمد التقسيم السَّابق على طبيعة الأصوات وخواصها، ويلاحظ فيه أوضاع الأوتار الصوتية وطريقة مرور الهواء من الحلق والفم، أو الأنف. ومن الجدير بالذكر في هذا المقام أن **تروبيتسكوي** ميّز الوظائف المختلفة التي يمكن أن تفيد من التقابل الوظيفي. والوظيفة الواضحة وهي التفريق بين الكلمات والسلاسل مختلفة الأطوال أسماها وظيفة التمييز distinctive function، إلاّ أنّها ليست الوظيفة الوحيدة التي يمكن أن يخدمها التقابل الوظيفي الصوتي.

مراجع المحاضرة

1-عبد الرحمن الحاج صالح، مَدخَل إلى عِلم اللِّسان الحديث: الباب الثَّاني في المَذاهب والنَّظرِيَّات اللِّسانِيَّة الحديثة، اللّسانيّات، ع.07، مركز البحوث العلميّة والتّقنيّة لترقيّة اللّغة العربيّة، الجزائِر، 1997،

2-أحمد مومن، اللّسانيّات: النّشأة والتّطوّر، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، 2002.

3-أحمد مختار عمر، محاضرات في علم اللّغة الحديث، ط.1، عالم الكتب، القاهرة، 1995.

4-تَمَّام حسَّان، الأُصول: دِراسةٌ إبستيمولوجيَّة لِلفِكر اللُّغويّ عِند العرب. النَّحو - فِقه اللُّغة - البلاغة، عالم الكُتب، القاهِرة، 2000.

5-يُنظَر: جفري سامسون، مَدارِس اللِّسانيّات: التّسابُق والتّطوُّر، ترجمة محمّد زياد كبة، جامِعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربيّة السّعوديّة، 1997.